



روائع إقبال

كرض.. وهنأفشة.. ونفويه

أستاذنا أبو الحسن علي
الحسني الندوي فُتِنَ بالدكتور
(محمد إقبال) شاعراً ومفكراً
وإنساناً.

يقول في مقدمة كتابه، تحت
عنوان «صلتي بمحمد إقبال
وشعره»:

«كنت في السادسة عشرة من
عمري، وقد قُدر لي أن أزور
«لاهور»، بلد العلم والثقافة في
الهند - غير المنقسمة - ومقر
الشاعر العظيم. وفي يوم
صائف شديد الحر، من أيام
آيار الأخيرة أخذني الدكتور
(عبدالله الجغتائي) - أستاذ
الفن الإسلامي في «جامعة
البنجاب» اليوم - إلي (محمد
إقبال). وقدمني إليه» (١)

ثم يقول في مكان آخر:
«وقد قدر الله أن أجتمع

بالشاعر العظيم قبل وفاته
بشهور، وأن تكون لي معه
جلسة طويلة تاريخية. كان
ذلك في السادس عشر من
رمضان عام ١٣٥٦ هـ (٢٢
تشرين الثاني ١٩٣٧ م)، زرت في منزله في
الصباح، وكان معي عمي
الاستاذ الكبير السيد (طلحة
الحسني)، وابن عمي السيد
(إبراهيم بن إسماعيل
الحسني)، وكان مُعتكفاً في
بيته في مرض طال به
وأضناه، وكان مرضه الأخير
الذي توفي فيه، صادفنا من
نفسه نشاطاً طيباً، أو نشطاً
بقُدومنا - لست أدري -
وفاضت قريحته، فطالت
الجلسة، وطابت حتي
استغرقت نحو ثلاث

ساعات. (٢)

إن الذي يشدنا إلي
اعتماد هذا المصدر محفزات
عدة، منها التعاصر الزمني،
والتعارف مباشرة وعن كُتب..
ثم شغف (الندوي) وإعجابه
بالدكتور (إقبال) ومتابعاته
لمؤلفاته، وكتابات وأشعاره..
ثم إحاطة الاستاذ (الندوي)

إِقْبَالُ



ولعل أهم ما في التمهيد، لقاء المؤلف بـ (إقبال): الذي هو أشبه بوثيقة تاريخية، تلقي الضوء علي أهم ما كان يشغل بال (إقبال) قُبيل وفاته رحمه الله.

ثم تتعاقب فصول القسم الأول من الكتاب كالتالي:

١- «شاعر الإسلام الدكتور (محمد إقبال): حياته وثقافته، شاعريته وإنتاجه» [ص ١٥ - ٢١]

٢- «العوامل التي كوَّنت شخصية (محمد إقبال)» [ص ٢٢ - ٤٠]

٣- «نظرة (محمد إقبال) إلي نظام التعليم العصري ومراكزه» (ص ٤١ - ٤٥)

٤- «نظرة (محمد إقبال) إلي العلوم والآداب» [ص ٤٦ - ٥٠].

٥- «الإنسان الكامل في نظرة (محمد إقبال)» [ص ٥١ - ٦٢].

■ ■ ■ فصول الكتاب - سابقة الذكر - في أصلها:

الفصل الأول حديث إذاعي، أذيع من «الإذاعة السعودية» عام ١٩٥١. والفصلان الأول حديث إذاعي، أذيع من محاضرة ألقيت علي طلبة كلية «دار العلوم» بالقاهرة في (٢٠ جمادي

نعود إلي الكتاب لنستوضح فيه قسمين متميزين:

الأول ويشتمل علي عرض لحياة (إقبال) وثقافته وأفكاره، وهي مبنية كالتالي:

— «صليتي بمحمد إقبال»:

وهو بمثابة مقدمة أو تمهيد، يتحدث فيه عن لقاءه مع الدكتور الشاعر، وما كان يدور بينهم من أحاديث تتصل بالشعر العربي، والعلوم الطبيعية في لقاءها مع الإسلام في مبادئه، والفلسفة الإغريقية، والتصوف الإسلامي، والتجديد الإسلامي في الهند، واستقلال باكستان عن الهند.

ثم تحدث المؤلف عن اهتمامه بشعر (إقبال) وتعريف المجتمع العربي به، وعن ترجمة الدكتور (عبد الوهاب عزّام) لشعر (إقبال)، ثم الدوافع التي حثت بالمؤلف لوضع كتابه.

فرغ المؤلف من هذا التمهيد في الثالث من ربيع الأول عام تسعة وسبعين وثلاثمائة وألف للهجرة، ويقع بين الصفحتين [١٤ - ٣].



بقلم:

حكمت صالح

وتمكنه من لغة (إقبال) إلي جانب العربية، الأمر الذي أتاح له فرصة الترجمة، وسهّل عليه مهمة تقتضي الدقة فيها. ■ ■ ■

الثانية ١٣٧٠ هـ، المصادف: ٢٨ آذار (مارس) ١٩٥١م)

يقول المؤلف الاستاذ (الندوي) في التمهيد:

«وفي عام ١٩٥٠م سافرت إلى الحجاز ومصر وسوريا، ونشطت في هذه الرحلة، التي استغرقت أكثر من عام، لكتابة عدة مقالات عن (إقبال) وفكره وشعره، وألقيتها محاضرات في «دار العلوم» وفي (جامعة فؤاد الأول) (جامعة القاهرة الآن)، ومقالة كتبها في دمشق عام ١٩٥٦م في زيارتي الثانية لسوريا هي مقالة «محمد إقبال في مدينة الرسول صلي الله عليه وسلم» أذيعت في محطة الإذاعة السورية» (٣)

ومهما يكن من شيء، فإن الكتاب حصيلة خبرة هي خلاصة تجارب حياتية فكرية معاشة، كرس المؤلف من خلالها جهوداً لا يُستهان بقيمتها، وأوقف لها طاقات مدروسة ومخططة، في تعريف المجتمع العربي بهذا الشاعر المجيد، الذي أوقف كل حياته لخدمة الفكر الإسلامي المعاصر وتجديد الثقافة الإسلامية.

كما أضافت
الفصول سابقة
الذكر - زيادة

علي التعريف بثقافة (إقبال) وتطورها - استشهادات من التراجم الشعرية، جاءت بمثابة الأسانيد الموثقة للنتائج التي خرج بها المؤلف.

علي الرغم من التبجيل بشخصية (إقبال) والإنبهار بشعره وأفكاره (حيث يتضح ذلك مباشرة في حنايا الفقرات هنا وهناك) فإن المؤلف يصدر عن روح موضوعية في نهج بحثه، فهو يشهد علي نفسه:

«إنني كلما قرأت شعره جاش خاطري، وثار عواطف، وشعرت بدبيب المعاني والأحاسيس في نفسي، وبحركة للحماسة الإسلامية في عروقي، وتلك قيمة شعره وأدبه في نظري» (٤)

في حين نري هذا الإقرار بالإعجاب جاء إثر تجريد المؤلف شاعرنا (إقبالاً) من تصورات العصمة ومعاني القداسة. كما أنه لا يتورع من الإفصاح عن بعض الأفكار الفلسفية والتفسيرات للعقيدة الإسلامية التي لا يتفق فيها مع (إقبال):

«أما بعد فإنني لا أعتقد في (إقبال) عصمة ولا قداسة ولا إمامة ولا اجتهاداً» في الدين، ولا أبالغ في إجلاله والاستشهاد بأقواله، كما يبالغ كثير من الكتاب المعاصرين، والمؤلفين المتطرفين.. إنني أعتقد أن (الحكيم السنائي) و(فريد الدين العطار) والعارف (الرومي) كانوا أرفع منه مكانة بكثير، في التأدب بآداب الشرع، والجمع بين الظاهر والباطن، والدعوة والعمل. وقد كانت له في محاضراته التي ألقاها في

المدارس أفكار فلسفية وتفسيرات للعقيدة الإسلامية لا نوافقه عليها. ولا أعتقد - كما يعتقد كثير من الشباب المتحمسين - أنه لم يفقه الإسلام عالم مثله، ولم يُحط بعلومه، وحقائقه - غيره، إنني لم أزل - والحق أحق أن يُقال - في كل دور من أدوار حياتي وثقافتي معتقداً أنه لا يزيد علي أن يكون تلميذاً من تلاميذ الثقافة الإسلامية النجباء والأذكياء، درسها دراسة مخلصة، وكان لا يزال في حاجة إلي التعمق والرسوخ فيها، والاستفادة من معاصريه الكبار. وكانت في شخصيته الكبيرة النادرة جوانب ضعف لا تتفق مع عظمتها العلمية، وعظمة رسالته، وشعره، لم يجد وقتاً كافياً وجوّاً ملائماً لإكمالها وتسديدها» (٥).

وبعد فلنا مجموعة ملاحظات علي فصول القسم الأول من الكتاب:

١- إن عنوان الكتاب «روائع إقبال» يجعلنا نتسامح إلي حد كبير مع المؤلف في ملاحظتنا هذه. ذلك أن العنوان يوحي بإبراز تلك الروائع والوقوف عند قصائده (وهذا ما سنقف عنده في حديثنا عن القسم الثاني من الكتاب). أي أن غاية الكتاب الأساسية الكشف عن شاعرية (إقبال) في اختيار المؤلف من قصائده، وعليه فإن فصول القسم الأول أشبه بالتمهيد أو المقدمة. ولعله كان المبرر في عدم الإلمام في استيضاح كل الجوانب الحرة بالبحث في استجلاء تكوين شخصية (إقبال) الفكرية.

٢- أما تبويب الكتاب، فقد جاءت فصوله متداخلة في طوابعها، فحيناً تأخذ شكل مقال أدبي، وحيناً آخر



شكل محاضرة و حديث إذاعي. وعليه فإن الكتاب أشبه بمجموعة من المقالات التي يشدها موضوع أساسي. ولعل ذلك هو السبب الذي دفع بالمؤلف إلى عدم إضفاء صفة الفصول على موضوعات الكتاب. وهذا لا يعني تجريده من مواصفات النسق المنهجي في طرح متسلسل.

٣- ولأن فصول القسم الأول في أصلها محاضرات أو أحاديث إذاعية فقد تسرب إلى منهج الكاتب واسلوبه: مواصفات الخطابية تارة والإنشائية أخرى. وبالرغم من كون ذلك يحد من الموضوعية والتحليلات النقدية والتعليقات العلمية، فإن ما طرحته الفصول من ثراء طغي على الخطابية، وعلي الإنشائية التي حظيت بقسط واف من جمالية التعبير ومتانته. وهو اسلوب متبع في البحوث الأدبية قبل أكثر من ربع قرن، وما أسلوب (طه حسين) - وخاصة في «حديث الأربعة» الذي كان يقدمه من الإذاعة بالأصل ببعيد. وصفنا الخطابية والإنشائية تظهر بوضوح في حديثه عن «العوامل التي كوَّنت شخصية محمد إقبال»، كما لا تخلو منها الفصول اللاحقة.

٤- تحدث المؤلف عن نشأة (إقبال) والمؤثرات التي كوَّنت شخصيته باقتضاب، وبشكل يوحي بالسرعة! وكان حرياً به - أن يقف عن بيئته وعصره - وقفة أطول: للكشف عن بدايات توجهه الثقافي ونزوعه الفكري للذين حملاه الرسالة الفكرية، وأناطاً به المهمة الأدبية، فأقني حياته في سبيلها!

٥- غالباً ما يركز المؤلف على

المدرسة الإسلامية في تكوين شخصية (إقبال)، ولا يكاد يقف عند المدرسة الغربية إلا سريعاً. وهي - بلاشك - ظاهرة متقصدة، ناجمة عن أحد أمرين:

إما لضيق النافذة التي يطل منها المؤلف على الثقافة الغربية والمذاهب الفكرية الأوروبية التي تأثر بها (إقبال):

وإما لتجسيد النوازع الإسلامية، وإبراز معطياتها في تكوين شخصية (إقبال)، الذي خرج إلى الناس داعية إلى تجديد الفكر الديني في الإسلام، وحمل رسالة إضفاء ملامح المعاصرة عليه، لتكون مباديء الإسلام دستوراً، لم يفقدها «تقدميتها» تعاقب العصور. وتحسب هذا الأمر الثاني أكثر رجوحاً في منطق.

٦- ففي الفصل الثاني وقف المؤلف عند المدرسة الأولى التي تخرَّج منها (إقبال)، ونقصد بها «مدرسة الثقافة العصرية والدراسات الغربية»، وكانت وقفته سريعة جداً، حيث لم تشغل أكثر من نصف صفحة (٦). في حين أفرد الصفحات السبع عشرة التالية للمدرسة الثانية، ونقصد بها «المدرسة الإسلامية التي تشرف عليها التربية الإلهية وتمدها بالقوة الروحية» - وللعوامل التي تتصل بها، وهي:

الإيمان «بالقرآن» معرفة النفس «الطبيعية» «مثنوي» (جلال الدين الرومي). فهو حتى حين يتحدث عن معرفة النفس وعن الطبيعة، ينطلق من منظور المؤثرات الإسلامية، وكأن الثقافة الغربية لم يكن لها نصيب في تعامل (إقبال) معها!

صحيح أن صدور (إقبال) كان

كذلك، إلا أنها صورة نصفية تجسّد ملامح شطر من منطلق اتجاهها! أما القسم الثاني من الكتاب فيشتمل على تراجم لبعض قصائد (إقبال)، وقد ذكر المؤلف في معرض حديثه عن صلته (بمحمد إقبال) وشعره:

«... واقتصرت في الترجمة والنقل على الدواوين التي لم يتناولها المرحوم العلامة (عبد الوهاب عزّام) بالتعريب. وكان لديوانه «بال جبريل» أكبر نصيب من هذه التراجم. وقد رتبها كما كتبت ونشرت، إلا أنني جعلت مقالة «في مدينة الرسول» خاتمة هذه المجموعة، لأنها من شعره الأخير، ولأن المدينة هي نهاية المطاف للشاعر المؤمن، مهما طالت سياحته الفكرية» (٧).

عليه فهو لا يعتبر تراجمه تراجم خالصة، إنما يسميها بـ «المقالة»، أي أن تراجمه أقرب إلى المقالات التي تتضمن نصوص القصائد المترجمة. فقد امتاز أسلوبه بأن يقدم للنص أو يعلق عليه أو يشرحه، أو يذكر مناخ القصيدة وجوها. وهو في أسلوبه هذا أقرب إلى منهج الشرح منه إلى النقد، وإن كانت مقالاته لا تخلو من ملاحظات نقدية، تأتي ضمن السياق هنا وهناك. وتبقى تلك الملاحظات في أسر الإطراء والتبجيل والثناء! أما معطيات الشروح والتعليقات فلا تخلو من تسليط بعض الأضواء أمام عامة القراء: لاستيعاب مضامين القصائد. في حين كانت الالتفاتات النقدية والرؤية الفنية في إبراز وتجسيد جمالية النص الشعري وتقويمه محدودة. وكنا نطمح منه إلى الاستغراق في هذا الجانب، ليعوض لنا

الفقد الناجم عن عملية الترجمة.

إن المؤلف - والحق يُقال - متمكن من أداته اللغوية بالعربية، ملم بأساليبها، رصيده من المفردات ثري وغني، إنشاؤه قريب من الشعر، لا سيما أنه يتعامل مع القصيدة الناضجة أصلاً، إلا أن لنا وجهة نظر في تراجمه هذه، سنقف عندها في غير هذا الموضع - بإذن الله.

أما القصائد المترجمة التي احتواها الكتاب فهي علي التوالي: «برلمان إبليس» (ص ٦٣)، «إلى الأمة العربية» (ص ٧١)، «في جامع قرطبة» [ص ٨٩]، «دعاء (طارق)» [ص ٩٤]، «حديث الربيع» [ص ٩٨]، «نياحة (أبي جهل)» [ص ١٠٣]، «رجعة الجاهلية» [ص ١٠٧]، «ساعة مع السيد (جمال الدين الأفغاني)» [ص ١١٠]، «في مدينة الرسول صلى الله عليه وسلم» (ص ١١٧).

وبعد.. فإن كتاب «روائع رقبال» جهد مشكور، أمضي الاستاذ (أبو الحسن علي الحسني الندوي) وقتاً ليس بالقصير، وطاقة ليست بالهينة في إخراجه، فهو إضافة سدت شاغراً في المكتبة العربية، خاصة أنه حلقة الوصل التي

أثبتت جدارتها، وفرضت علينا احترامها. فعرفتنا بشاعر مسلم أحب العرب، وعشق دينهم، وأفني حياته في حمل الرسالة، فكان مؤشراً يُعتد به في طريق التجديد الفكري الإسلامي لمواكبة الحياة المعاصرة. ف شكر الله له هذا الصنيع، وأثابه الحسن في الآخرة.. أمين.

دواوين محمد إقبال وأعماله الشعرية
١- أسرار خودي (أسرار الذاتية)، ١٩١٥ - ١٩٥٩، ٦ طبعات، ١٣٠٠٠ نسخة.

٢- رموزي خودي (رموز نفي الذاتية)، ١٩١٨.

٣- بياض مشرق (رسالة المشرق)، ١٩٢٣ - ١٩٥٨، ٩ طبعات، ١٨٠٠٠ نسخة.

٤- بانك دار (صلصة الجرس)، ١٩٢٤ - ١٩٦٢، ٢١ طبعة، ١١٤٠٠٠ نسخة.

٥- زبور عجم (زبور العجم)، ١٩٢٧ - ١٩٥٩، ٧ طبعات، ١٦٤٠٠ نسخة.

٦- جاويد نامة (رسالة الخلود)، ١٩٢٢ - ١٩٥٩، ٤ طبعات، ٦٠٠٠ نسخة.

٧- مسافر (عن وحي زيارته لأفغانستان)، ١٩٣٤.

٨- بال جبريل (جناح جبريل)، ١٩٣٥ - ١٩٦٢، ١٢ طبعة، ٦٢٠٠٠ نسخة.

٩- بس جي بايد كرد أي أقوام شرق (ما ينبغي أن تعملوا يا أمم الشرق)، ١٩٦٢ - ١٩٠٩، ٤ طبعات، ١١٠٠٠

نسخة.

١٠- ضرب الكليم ١٩٣٧ - ١٩٥٩، ٧ طبعات، ٤٣٠٠٠ نسخة.

١١- أرمغان حجاز (هدية الحجاز) - نشر بعد وفاته، ١٩٣٨ - ١٩٥٩، ٧ طبعات، ٢٢٠٠٠ نسخة.

- مجموع نسخ دواوينه (٣٠٥٤٠٠) نسخة إلى سنة ١٩٥٩ فقط.

- تجددت - بعد ذلك - طبعات كل دواوينه.

- كثير من الطبعات تُجدد وتُنشر دون الحصول علي حقوق النشر.

- وإلي جانب أعماله الشعرية ودواوينه فله مؤلفاته في: الاقتصاد.. والفلسفة، وله رسائل.. وخطب.. ويوميات، نشرت بعد وفاته - رحمه الله وأسكنه فسيح جناته.. أمين.



قائمة بالمراجع التي يمكن الاستفادة منها لوضع دراسة موسعة عن الشاعر الفيلسوف الدكتور (محمد إقبال) رحمه الله

أ- من المراجع العربية:

● محمد إقبال: سيرته وفلسفته.

الدكتور: عبد الوهاب عزّام.

● ديوان: «ضرب الكليم».. ترجمة

الدكتور: عبد الوهاب عزّام.

● ديوان: «رسالة الشرق».. ترجمة

الدكتور: عبد الوهاب عزّام.

● ديوان: «الأسرار والرموز»..

● فلسفة إقبال والثقافة الإسلامية

في الباكستان، الصاوي شعلان

ومحمد حسن الأعظمي.

● إقبال شاعراً ومفكراً، اعداد: مهدي

حمود الفلوجي، مطبعة الجامعة، بغداد

